(١٥)

الشيخ محمد الغزالي
عالم مجاهد مجدد[١]

الخطبة الأولي:

أما بعد: فيا أيها الإخوة المسلمون:

كيف يختار مدير برنامج (الاتجاه المعاكس) شخصياته؟

في يوم الثلاثاء الماضي من هذا الأسبوع المنصرم أذاعت قناة الجزيرة في برنامجها الشهير (الاتجاه المعاكس) حلقة عن: الجماعات الإسلامية، وكان طرفها أحد العلمانيين اللادينيين المتبجحين، وأحد الذين ينتمون إلى الجماعات الإسلامية، ولا أدري كيف يختار مدير البرنامج شخصياته؟ فكثيرا ما جاء بالذين يمثلون الإسلام من هذا الطراز الغريب، الذين لا يُعرفون إلا بطول اللحي، وطول اللسان، وقصر العقل والتفكير، وعدم فقه الواقع، وفقه الإسلام الحقيقي.

كما اختار الطرف الآخر من هذا النوع الذي لا يرجو الله، ولا اليوم الآخر، ولا يعترف للإسلام بقيمة ولا بمرجعية، هذا للأسف ما حدث في برنامج الاتجاه المعاكس في يوم الثلاثاء الماضي، ومما سمعناه في التعليقات علي هذا البرنامج، مداخلة هي في الواقع أقوي المداخلات وأصوبها، كانت من الأخ عبد الله أنس من لندن الذي قال لصاحب البرنامج: لقد أسأت الاختيار في كلا الطرفين، في الطرف العلماني وفي الطرف الإسلامي، فالطرف العلماني لا يمثل الديمقراطية،

---

(١) ألقيت في مسجد (عمر بن الخطاب) بالدوحة، في يوم الجمعة ٢٥ من ذي القعدة سنة ١٤١٩هـ الموافق ١٢ من مارس سنة ١٩٩٩م.

بل هو رجل استئصالي يعادي الإسلام، ويعادي دعاته بكل قوة، فلا ينبغي لمثله أن يمثل العقلانية أو الديمقراطية، أو الحرية، أو غير ذلك.

وكذلك الذي جئت به يمثل الحركات الإسلامية ليس منها في شيء، فهو رجل أفتى بجواز قتل الرجل أمه وأباه، أحد الجزائريين قتل أمه وأباه، فبرَّر هذا الرجل ذو اللحية الطويلة - أبو قتادة، هؤلاء يتكنَّون بكني الصحابة، فبرَّر - قتل الرجل لأمة وأبيه، وأصدر فتوي في ذلك «البيان في جواز قتل الوالدان والنسوان».. الخ، كما برَّ قتل بعض الدعاة الإسلاميين في الجزائر، الشيخ محمد سعيد وغيره، هذه الجماعات التي ظهرت وتنتسب إلي الإسلام، وارتكبت من الموبقات والحماقات والاعتداءات ما لا يقبله دين، ولا يقبله عقل، ولا نقل ولا شرع، ولا خلق ولا عرف ولا قانون، أبو قتادة هذا برَّر قتل الشيخ محمد سعيد، كما برَّر في فتواه قتل الرجل لأمه وأبيه، هذا للأسف ما حدث.

علماني متطرف يهاجم الشيخ الغزالي:

ومن أعجب ما ذكره هذا الشخص العلماني التونسي اسمه الشابِّي هذا: أنه هاجم شيخنا الشيخ محمد الغزالي وهاجمني معه، وقال: إن الغزالي الذي كان يرأس جامعة الأمير عبد القادر أو يديرها من الناحية العلمية؛ هو الذي بذر بذور التطرف والعنف في الجزائر، وجاء القرضاوي بعده فكمَّل دوره، وهذا افتراء علي الحق والتاريخ، وما كنت أريد أن أعيره التفاتاً، فمثل هؤلاء نقابلهم بما قال الله تعالى: ﴿ **وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا** ﴾ [الفرقان: ٦٢]، ﴿ **وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ** ﴾ [القصص: ٥٥] كان أولانا أن نسكت عن هذا الجاهل الأحمق، المعادي للإسلام بصراحة وتبجُّح، والذي يدافع عن العلمانية اللادينية بكل وقاحة، والذي يهاجم الإسلام وشريعته بكل صراحة، ويقول: لم يعد في عصرنا مكان لتطبيق الشريعة، هذا كان أولى بنا أن نسكت عنه، لولا أن بعض الإخوة اتصلوا بي، وألحُّوا عليّ أن أتحدث.

والذي حداني أن أتحدث: هو تطاوله على الشيخ الغزالي، خصوصا أننا في هذه الأيام في الذكري الرابعة لوفاة الشيخ الغزالي رحمه الله، فالشيخ الغزالي توفي في التاسع من مارس، أي منذ أيام، فذكري الشيخ الغزالي وحقه علينا يستوجب أن نرد عنه، وأن نذود عن حرماته، لا يمكن أن يوصف الشيخ الغزالي بالتطرف ولا بالعنف، الشيخ الغزالي وقف عمره كله - وخصوصا في سنواته الأخيرة - يحارب التطرف والعنف، ويدعو إلي الاعتدال والتسامح، وإلى العقلانية.

صنفان يعاديان الشيخ الغزالي:

ولذلك نجد الذين يعادون الشيخ الغزالي صنفين من الناس: إما من المتشددين والمتطرفين من الإسلاميين، حتي إن بعضهم قابلني يوما وقال لي: ما رأيك في الغزالي؟

قلت: الغزالي حجة الإسلام، وهو الذى وقف ضد الفلاسفة وضد الباطنية.

قال: لا أسألك عن هذا الغزالي القديم، إنما أسألك عن الغزالي الجديد.

قلت: هذا عالم من كبار علماء الإسلام، ومن كبار الدعاة الذين وقفوا حياتهم، ونذروا أنفسهم للدفاع عن الإسلام، والوقوف في وجه أعدائه، وفي وجه التيارات الهدَّامة والمضلِّلة.

قال: ولكنا نفتي بكفره، قلت: بكفره؟! قال: نعم بكفره وردِته. قلت: لماذا؟

قال: لأنه رد بعض الأحاديث في البخاري. قلت: وبرد حديث في البخاري أو حديثين يخرج الرجل من الملَّة، لو كان الأمر كذلك لحكمنا بالردة على عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، لأنها ردت بعض الأحاديث على الصحابة الذين سمعوها من النبى ﷺ، ولكنها بحكم ثقافتها قالت: لا ليس هذا صحيحا، هذا مناقض للآية الكريمة كذا وللآية كذا. فالإنسان يكفر لو رد السنة كلها، وقال: لا نأخذ عن رسول الله ﷺ، السنة ليست مصدرا للتشريع ولا للتوجيه، أما أن

يملأ الرجل كتبه بالأحاديث عن رسول الله ﷺ، ويكتب الرجل فقه السيرة وعينه تترقرق دمعا، وهو في جوار رسول الله ﷺ بالمدينة.

أما الرجل الذي عاش مدافعا عن السنة في كتبه وعن القرآن، كيف نحكم عليه بالكفر؟ فانظروا إلى هذا الحد يُتَّهم الشيخ الغزالي من المتشددين، فالذين يهاجمون الشيخ الغزالي ويعادونه، إما من هؤلاء المتشددين الذين أُغلقت عقولهم، وسُجنوا في ظواهر بعض الألفاظ، ولم يفقهوا الدين، ولم يفقهوا الحياة هذا صنف.

صنف المتطرفين من العلمانيين:

والصنف الآخر هم المتطرفون من العلمانيين، الذين يعادون الإسلام نفسه، هؤلاء من داخل المسلمين، والقوي الأخرى المعادية للإسلام من الصهيونية والصليبية والوثنية، والقوي المتربصة بهذا الدين وبأمته..

هؤلاء وقف الغزالي ضدهم في كتب عدة، وقف ضد الصهيونية، ووقف ضد الصليبية، ووقف ضد الطواغيت الذين أذلوا الأمة، وقف ضد هؤلاء في كتب شتى، وفي السنوات الأخيرة وقف جهوده على محاربة التطرف، التدين الزائف، والتدين المنقوص المغلوط، كتب الشيخ الغزالي الأخيرة: (دستور الوحدة الثقافية)، (مشكلات في طريق الحياة الإسلامية)، (هموم داعية)، (علل وأدوية)، (الطريق من هنا)، (الحق المر)، (مستقبل الدعوة في القرن الخامس عشر الهجري).. الخ هذه الكتب – وعدد من الكتب – ظل الشيخ الغزالي يُبديء ويعيد، وهمه أن يحارب هذه النزعة؛ نزعة الغلو والتطرف والتشدد، وكان يؤمن: أن الإسلام لا يُخدم إلا بهذا النوع من التدين الذي يجمع بين العقل والنقل، بين الحكمة والشريعة، بين الدين والدنيا، بين السماء والأرض، هكذا كان الشيخ الغزالي.

العلمانيون وسياسة تجفيف الينابيع:

هؤلاء هم الذين يعادون الشيخ الغزالي، ومن هؤلاء: هذا المحاور الذي كان في (الاتجاه المعاكس)، فهو محاور من دعاة الاستئصال، من دعاة فلسفة تجفيف الينابيع، وهذه فلسفة تقوم عليها بعض الدول، وهو ممن كتبوا فيها، هذه الفلسفة تقوم على تجفيف منابع التدين الحقيقي الإيجابي في التعليم والثقافة والإعلام، يجب تنقية مناهج التربية والتعليم في المدارس والمعاهد والكليات، من الحضانة إلي الجامعة، من كل شيء ينشيء الشخصية الإسلامية، المعتزة بدينها، الموالية لربها ولأمتها، الغيورة علي دينها، الآمرة بالمعروف، والناهية عن المنكر.

فكل ما يتعلق بهذه الألوان من الثقافة تُحذف ولا تبقي في مناهج التعليم والتربية، أي كلام عن اليهود، والتحذير من اليهود، وعداوة اليهود، وخطر اليهود ينبغي أن يُحذف، أي كلام عن موالاة غير المسلمين ﴿**وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ**﴾ [المائدة: ٥١] يُحذف، أي كلام عن البطولة الإسلامية، والوقوف في وجه الباطل، والثورة علي الظلم ينبغي أن يُحذف، أي كلام ينشيء الشخصية المسلمة الإيجابية لا مكان له في مناهج التربية والتعليم، هذا ما يريده هؤلاء، وكذلك في مناهج الثقافة والإعلام، في التليفاز أو في الإذاعة، أو في الصحافة، لايوجد مكان للحديث عن هذه المعاني.

العلمانيون وتمييع الحقائق:

لقد قرأت مقالا لأحدهم في صحيفة الأهرام في القاهرة قال فيه: إننا نريد أن نعلِّم أولادنا وناشئتنا: نسبية الحقائق، أن الحقائق نسبية، ليس هناك حقيقة مطلقة، إذا كنا نقول نحن: الله واحد، فهناك من يقول: هناك آلهة ثلاثة (الله ثالث ثلاثة). هناك من يقول بالوثنية، إذا كنا نقول نحن: إن هناك آخرة وجنة وناراً، هناك من يقول بتناسخ الأرواح، وليس هناك جنة ولا نار. إذا كنا نحن

نقول بنبوة محمد، فهناك من لا يؤمن بنبوة محمد، كل هذه الحقائق التي نعتبرها نحن حقائق مطلقة، ولا يجوز الاختلاف عليها، ولا التشكيك فيها، هؤلاء يقولون: هي حقائق نسبية، حقائق عندنا نحن، وليست حقائق عند آخرين، فلا يجوز أن نتعصب، ولا يجوز أن نعتبر هذه أشياء لا كلام فيها ولا جدال فيها، هذا ما يقوله هؤلاء، يريدون أن يجعلوا الدين عجينة لينة يشكلونها كيف يشاء، حتي العقائد الأساسية ينبغي أن تؤخذ هذا المأخذ عند الطفل المسلم، والتلميذ المسلم، هذا ما يريده دعاة تجفيف الينابيع في ثقافة الأمة وتربيتها وتعليمها وإعلامها.

وسطية الشيخ الغزالي واعتداله:

هذا الذي يهاجم الشيخ الغزالي ويقول: إنه هو الذي بذر بذور التطرف في الجزائر، وفي جامعة الأمير عبد القادر، وفي تليفزيون الجزائر، بالله عليكم هل يعقل أن يكل رئيس جمهورية لرجل أن يتولي توجيه جامعة ناشئة يتولاها ليزرع فيها التطرف ويبذر فيها العنف؟ أيعقل أن رئيس دولة – وهو الشاذلي بن جديد – يقول الشيخ الغزالي: نريد أن تعلِّم شباب الإسلام الصحيح بعيدا عن تسيب المتسيبين، وتطرف المتطرفين، هل يعقل أن رئيس دولة يكلِّف إنسانا ببذر العنف والتطرف في بلده، أهذا من العقل، أيعقل هذا؟! هذا لا يعقل أبدا.

الشيخ الغزالي كان معروفا بوسطيته واعتداله وتسامحه وعقلانيته، ولو خرج عن الوسطية يوما فإنما يخرج عنها في اتجاه العقلانية، واتجاه التسامح والتساهل والتيسير، فكيف يُتَّهم الشيخ الغزالي بأنه هو الذي بذر بذور التطرف، لا أريد أن أتحدث عن نفسي لأكمل مشوار الشيخ الغزالي في بذر بذور العنف والتطرف في الجزائر، بالعكس الشيخ الغزالي كانت مهمته في الجزائر مقاومة التطرف وهذا، ما ذكره في كتبه أنه لاقي ما لاقي من المتطرفين في المملكة حينما

كان في جامعة أم القري، وهنا في قطر حينما عاش بيننا ثلاث سنوات في كلية الشريعة في جامعة قطر وكنت عميدها في ذلك الوقت، وكذلك في الجزائر وقد بقي فيها خمس سنوات قاسي ما قاسي من المتشددين والمتطرفين، وكان مهمته: أن يبذر بذور الاعتدال والتسامح، والحوار بالعقل، الفكر مع الشرع والنقل، هكذا كان الشيخ الغزالي.

لو كان الشيخ الغزالي متطرفا ما دعته البلاد العربية والإسلامية إليها، كان يدعي في كل سنة هنا في رمضان إلي قطر، وكان يدعي إلي الكويت، وكان يدعي إلي السعودية، وقد نال جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام، وقد وافاه الأجل حينما كان مدعوا في مهرجان (الجنادرية) وأصابه ما أصابه حينما سمع ما ينال الإسلام، وقد كان الرجل ينتفض انتفاضا حينما يسمع أي كلمة تمس الإسلام، يغضب ويزأر زأرة الليث، ولا يقف في وجهه أي أحد حينما يغضب للإسلام، هذه الغضبة الأخيرة أجهزت عليه رحمه الله، فمات وكأنما السيف في يده، مات وهو شاهر سيفه في المعركة للدفاع عن الإسلام، عاش عمره للإسلام.

الغزالي نصير المستضعفين:

عاش الشيخ الغزالي منذ عرفناه شابا صغيرا متخرجا في الأزهر الشريف، يكتب بقلمه، ويخطب بلسانه، يدافع عن الطبقات الضعيفة الكادحة، لا زلت أذكر كلماته في مقدمة كتابه (الإسلام والمناهج الاشتراكية) وهو يدعو الفقراء والمستضعفين، ويقول: يا ضحايا الفقر والجوع والحرمان: هُبُّوا، إن الشفاه التي تأمر بإذلالكم يجب أن تُقص، وإن الأوضاع الظالمة التي تجتاحكم يجب أن تُقصي، وإن الفراغ الذي خامر بطونكم وأفئدتكم يجب أن تنزاح غُمَّته إلي الأبد.

هذا هو الغزالي نصير المستضعفين في الأرض من أول يوم، نصير المرأة التي ظلمها الناس، من أوائل كتبه كتاب: (من هنا نعلم) وقد رد فيه علي الشيخ

خالد محمد خالد وكان صديقا له، ولكنه حينما رآه انحرف عن الجادة وكتب كتابه (من هنا نبدأ) وفيه هاجم الحكم الإسلامي، وهاجم فيه العدالة الإسلامية، وسماها اشتراكية الصدقات. الخ. وقف الشيخ الغزالي يرد عليه، ويبين خطأه، ويذكر الصواب، فالحق أحق أن يتبع، ولا ينبغي للإنسان أن يخاف في الله لومة لائم.

جهاد الغزالي ضد الاستبداد السياسي:

وقف الشيخ الغزالي ضد الطغيان والاستبداد، كنا نحن في معتقل الطور سنة ١٩٤٩، وكان يحاضرنا يلقي علينا محاضرات في موقف الإسلام من الاستبداد السياسي، ونحن في المعتقل، لم يخف أن يتجسَّس علينا متجسِّسون، وأن ينقل ذلك ناقلون، ويقول: إن هذا كلام ضد الحكومة، لم يبال بذلك، وظهرت بعد ذلك هذه المحاضرات ظهرت في كتاب (الإسلام والاستبداد السياسي).

من هم عُداة الشيخ الغزالي؟:

وقف الشيخ الغزالي طول عمره مناديا بالإصلاح، مناديا بالتجديد، منوِّها بالشوري التي ينبغي أن تكون أساس الحياة الإسلامية ﴿ **وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ** ﴾ [الشوري: ٣٨] مقاوما للطغيان والاستبداد أيا كان مصدره، مناديا بوحدة المسلمين في العالم، هكذا كان الشيخ الغزالي، ولذلك رحَّب به المسلمون في أقطار الأرض مشارقها ومغاربها، أينما ذهب الشيخ الغزالي رحب به دعاة الإسلام، وعلماء الإسلام في كل مكان، فكيف يقول هؤلاء عن الغزالي ما قالوه، كان الغزالي يتمثل – رحمه الله – ببعض أبيات من أبيات ديوان (الحماسة) يقول:

لقد زادني حباً لنفسي أنني ... بغيض إلى كل امرىء غير طائل

وإني شقيٌّ باللئام ولا ترى ... شقيا بهم إلا كريم الشمائل

إني بغيض إلي كل امريء غير طائل، ليس له طول ولا فضل، وكان يحكي

ما يقوله بعض السلف: حسبك نصرا: أن خصمك يحارب الله ورسوله، الذين يخاصمون الشيخ الغزالي من هؤلاء العلمانيين واللادينيين إنما يحاربون الله ورسوله، ويقفون ضد الشيخ الغزالي، لأنه وقف مدافعا عن الإسلام، عن دين الله، وعن سنة رسول الله، وعن كتاب الله، لم يهن يوما، ولم يُلقِ السلاح يوما، بل ظل مصابرا مرابطا مثابرا إلي آخر رمق في حياته.

إننا يا أيها الإخوة الأحبة نعجب لهؤلاء الناس المتطاولين، الذين يملكون ألسنة طويلة، ويملكون عقولا قصيرة، ويملكون همما واهنة، هؤلاء الناس الذين يرضخون للغرب، وللثقافة الغربية، ولتيارات التغريب، ويهاجمون الدعاة الأصلاء الذين يريدون لهذه الأمة أن تستمسك بالعروة الوثقي، أن تبقي على الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم، غير المغضوب عليهم، ولا الضالين، نعجب لهؤلاء المتطاولين بالباطل الذي يقفون في وجه الجبال الشمُ، ونقول لهم ما قاله الشاعر قديما:

يا ناطح الجبل العالي ليوهنه أشفِق على الرأس لا تُشفق على الجبل

لن تستطيع أن تنطح الجبل، أشفق علي رأسك إذا نطحت الجبل، هؤلاء يناطحون الجبال، ولا يمكن أن ينتصروا في المعركة.

المستقبل للإسلام:

نحن مؤمنون بأن الغد لهذا الدين، والمستقبل لهذا الإسلام، وأن هذه الأمة إلي خير في جملتها، الصحوة الإسلامية ظهرت ولا يمكن أن تخمد جذوتها، الشيخ الغزالي قام في الجزائر وهيأ الله له صحوة عظيمة، لاشك أنه كان أحد الأعمدة التي اعتمدت عليها هذه الصحوة، والتي أثمرت ثمراتها، امتدت جذورها في الأرض، وبسقت فروعها في السماء، لأنها كانت ﴿ **كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا** ﴾

[إبراهيم: ٢٤ – ٢٥]

كنت أخطب في الجزائر في مثل صلاة الجمعة هذه، فيحضر في المسجد عشرات الآلاف، بعض المساجد من ثلاثة أدوار، تمتلىء الأدوار الثلاثة، والساحات حول المسجد، والطرقات والميادين المؤدية إلي المسجد، حتي تتعطل المواصلات، صحوة لم أر لها نظيرا، وكان المفروض أن تؤتي هذه الصحوة أكلها، وتحقق أهدافها، وأن يؤدي اختيار الشعب إلى من يختارهم الشعب، ولكن – للأسف – وقفت القوي المعادية للإسلام ضد هذه الصحوة، وضد نتائجها المفترضة، صناديق الانتخاب أدت إلي اختيار مجموعة من الناس هذا هو حقهم، الشعب اختار، فعليه أن يتحمل المسئولية، ولكن هؤلاء وقفوا في وجه الشعب، وقطعوا عليه اختياره، قطعوا عليه الطريق وقالوا له: أنت لست أهلا للاختيار، أنت لست راشدا، أنت في حاجة إلي وصاية، حينما اختار غير الإسلاميين كان الشعب راشدا، فلما اختار الإسلاميين كان الشعب طفلا، وكان الشعب في حاجة إلي وصاية، هؤلاء يكيلون بكيلين، معاييرهم مزدوجة، لا يعرفون الحق الصحيح، ولا العدل الصريح.

ماذا نريد من الصحوة؟

إننا نعتقد: أن الإسلام قادم إن شاء الله، كل ما ننصح به أهل الإسلام، ودعاة الإسلام: أن يحتكموا إلي الفهم الصحيح للإسلام، ألا تشغلهم الجزئيات عن الكليات، ولا يشغلهم الشكل عن الجوهر، ولا تشغلهم النوافل عن الفرائض، ولا تشغلهم المكروهات عن المحرَّمات، لا تشغلهم الصغائر عن الكبائر، لا يشغلهم المختلف فيه عن المتفق عليه، نحن في حاجة إلي فهم صحيح لهذا الدين في ظل التسامح[1]، نحن أولي الناس بالتسامح، نحن لا نعادي إلا من يعادينا، ولا نحارب إلا من يحاربنا، وإلا فأيدينا مبسوطة لكل الناس وقلوبنا مفتوحة لكل الناس نسالم من سالمنا، ونسامح من سامحنا ولا نفرِّط في ذرة من ديننا، لا نبيع

(١) انظر في شرح هذه المطالب التي يناشد الشيخ القرضاوي **الصحوة** الالتزام بها، كتابه الممتع: (الصحوة الإسلامية من المراهقة إلي الرشد) طبعة دار الشروق بالقاهرة.

ديننا بملك المشرق والمغرب، هذا الدين أمانة في أعناقنا، وقد كلفنا الله تعالي أن نقوم علي حراسة هذا الدين، وعلي حياطة هذا الدين إيمانا به، واتباعا له، ودعوة إليه، وغيرة علي حرماته، وجهادا في سبيله، وسنظل كذلك حتي نلقي الله عز وجل.

الشيخ الغزالي أحد مجددي الإسلام:

يا أيها الإخوة: كان الشيخ الغزالي رحمه الله إماما من أئمة هذه الأمة، كان من المجددين لهذا الدين، سمَّاه أبوه محمد الغزالي، محمد الغزالي هو اسمه، ليس لقبه الغزالي، بل سمَّاه أبوه محمد الغزالي أحمد السقا، أبوه اسمه: الشيخ أحمد السقا، لكن أباه أراد أن يكون لهذا الصبي – أو لهذا المولود – نفحة من الإمام محمد بن محمد بن محمد الغزالي أبو حامد الغزالي حجة الإسلام السابق، فسمَّاه محمد الغزالي تيمنا بهذا، وفعلا كان غزالي عصره، وكان أحد المجددين لهذا الإسلام في القرن الرابع عشر الهجري، كما قال النبي ﷺ: «إن الله يبعث لهذه الأمة علي رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»[1] أنا من أنصار أن «من» في هذا الحديث للجمع وليس للمفرد، «من» تصلح للفرد وتصلح للجمع ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [النحل: ٩٧] فأعاد عليها الضمير بالجمع، ولذلك الذين يجدِّدون الدين هم جماعة، جماعات من الناس، وليس فردا واحدا، ولاشك: أن الشيخ الغزالي أحد هؤلاء الأفذاذ الذين أسهموا بجهد مشكور في خدمة الإسلام، وتجديد الإسلام، نسأل الله تبارك وتعالي: أن يغفر للشيخ الغزالي ويرحمه، ويتقبله في الصالحين، ويجزيه عما قدَّم لدينه ولأوطانه

---

(١) رواه أبو داود في الملاحم (٤٢٧٠) والحاكم في مستدركه (٤/٥٢٢) والبيهقي في السنن والآثار (٥٢) وذكره الألباني في الصحيحة (٥٩٩) وعزاه إلي أبي عمرو الداني في الفتن. راجع تخريجنا للحديث في كتابنا «من أجل صحوة راشدة تجدد الدين.. وتنهض بالدنيا» ص١١ ط دار الشروق.

ولأمته خير ما يجزي به العلماء العاملين والدعاة الصادقين، وأن يبوء أولئك المتطاولون المتبجحون بإثمهم، ويجزيهم الله بما يستحقون، اللهم آمين[1].

الخطبة الثانية:

تحذير لأهل فلسطين من التفرق والفتنة:

أما بعد: فأيها الإخوة المسلمون: أتابع - ويدي علي قلبي - ما يجري من أحداث علي أرض فلسطين الحبيبة، فأنا من أحرص الناس علي ألا يواجه الفلسطيني الفلسطيني، وألا تمتد يد الفلسطيني إلي أخيه، وألا يوجه السلاح إلي صدر فلسطيني آخر، ما أحوج هذا البلد الكريم إلي أن تتحد قواه في مواجهة ذلك الاحتلال الصهيوني الغاشم، الذي يراوغ ويلاوع ويكايد، ويأخذ ولا يعطي شيئا، ويريد هؤلاء: أن يشغلونا بعضنا ببعض، أن يشغلونا بأنفسنا ليستفيدوا من وراء الخلاف والصراع، هم الوحيدون الكاسبون والمستفيدون من صراع القوي الفلسطينية بعضها مع بعض، ويجب علي إخوتنا الفلسطينيين أن يدركوا هذه الحقيقة، وما أظنها تغيب عنهم، فهي لا تغيب عن عاقل أبدا.

نريد للإخوة الفلسطينيين ما قاله الشيخ أحمد ياسين، فقال: لن تمتد يدنا بالعدوان إلي أحد من أهل فلسطين، مهما أُصبنا، ومهما نزل بنا، سنظل كخير ابني آدم الذي قال له أخوه: لأقتلنك، فقال: ﴿**لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ**﴾ [المائدة: ٢٨] لا ينبغي أن نستسلم لهذه التيارات التي تريد أن تصب الزيت علي النار، فقد قيل: إن إسرائيل، وإن رصاصات إسرائيل هي التي قتلت اثنين من الفلسطينيين أول أمس، قال بعضهم: إن ذلك من السلطة الفلسطينية، وقال بعضهم: إن هذا من

---

(١) لمزيد من التفصيل حول الغزالي وفقهه وعلمه وجوانب من حياته: انظر ما كتبه الشيخ القرضاوي في كتابه الحافل (الشيخ الغزالي كما عرفته.. رحلة نصف قرن) طبع دار الشروق بالقاهرة، وانظر كذلك: الرثاء الذي كتبه الشيخ القرضاوي إبان وفاة الشيخ الغزالي، انظر: (في وداع الأعلام) للشيخ القرضاوي. طبعة: دار الفكر المعاصر بدمشق وبيروت.

إسرائيل، ولا يُستبعد ذلك، لا نستبعد علي إسرائيل أن تعكِّر المياه لتصطاد، وأن تصطاد في الماء العكر، وأن تنتهز الفرصة لتزيد الفرقة، وتعمِّق الفجوة، وتوسع الفجوة، هذا ما ينبغي أن نحذر منه.

إننا حراص علي أي دم فلسطيني أن يراق، ولذلك حزنت كل الحزن حينما قتل اثنان من الفلسطينيين، وحزنت كل الحزن حينما قرأت اليوم: أن ٨٥ جُرحوا في رفح، ولازلت أخاف أن ينفَّذ حكم الإعدام في الأخ العطار الذي حكمت المحكمة بإعدامه، وأملنا في الرئيس الفلسطيني أن يلقي الأمر بشجاعة وحكمة، ويعرف قدر هذا الموضوع، ويطفيء النار في مهدها قبل أن يتطاير شررها ويتفاقم خطرها، وتأتي بأسوأ العواقب والنتائج.

أسأل الله: أن يسدِّده، وأن ينير طريقه، فلا يوافق ولا يصدِّق علي هذا الحكم بالإعدام، ويتفادي الخطر قبل وقوعه، اللهم آمين.

* * *

(١٦)

استنكار رواية (وليمة لأعشاب البحر)[١]

الخطبة الأولي :

أمّا بعد فيا أيها الإخوة المسلمون :

همٌّ ثقافي يضاف إلي همومنا :

خلال الأسابيع الماضية كانت أمّتنا مشغولة بقضية ضُمّت إلي قضاياها، وهم أُضيف إلي همومها، همّ ثقافي يتعلّق بالثقافة والأدب، إضافة إلي الهموم التي تتعلق بالاقتصاد والسياسة والمصير.

هذا الهم الثقافي هو تلك الرواية التي نشرتها وزارة الثقافة المصرية، وهي الرواية التي تسمي : (وليمة لأعشاب البحر) – ولا أعرف معني هذا العنوان – لكاتب سوري لم نسمع عنه من قبل، ولكن هذه الرواية وما جري حولها شهرته، وجعلته علي كل لسان وعلي كل قلم وفي كل صحيفة وفي كل قناة فضائية.

هذه الرواية التي تحدث عنها المتحدثون ونقدها الناقدون لم أشأ أن أتحدث عنها حتي آراها، فعلماؤنا قالوا : الحكم علي الشيء فرع عن تصوره. لا يجوز أن نتكلم عن شيء كهذا مما ذكره الناس عنه، وإن كان هؤلاء الناس ثقات.

وطلبت من أحد الإخوة أن يحضر لي نسخة من هذه الرواية، وقرأت ما يقارب

---

(١) ألقيت في جامع عمر بن الخطاب بالدوحة بتاريخ ١٥ / ٢ / ١٤٢١هـ – ١٩ / ٥ / ٢٠٠٠م. وللشيخ فتوي أيضا حول هذا الموضوع نشرت في الجزء الثالث من كتابه (فتاوي معاصرة : ص٧١١ – ٧١٧).

نصفها، أُغالب نفسي وأنا أقرأها فهي من أول صفحة تُقزز نفس الإنسان المؤمن. رواية لا تعرف شيئا اسمه (الحـــرام)، ولا تعرف شيئا اسمه (العيب)، ولا تعرف (الله) ولا تقدره حق قدره.

ولا عجب فقد كتبها إنسان نصيري العقيدة، شيوعي الفكرة. وعقيدة الإنسان الدينية والأيديولوجية تنضح علي فكره، وتنضح علي كتابته، وتنضح علي أسلوبه، وكل إناء بالذي فيه ينضح، هذه حقيقة.

ولكني سأتجاوز عن عقيدة الرجل الدينية والأيديولوجية ونحاكم النص الذي كتبه.

لم أستطع أن استمر في أكثر من النصف، وقد بلغ الاشمئزاز مني مبلغه، واكتفيت بتصفح الباقي، وكلما تصفحت هذه الرواية وجدت فيها أشياء وأشياء، ينكرها الدين، وينكرها الخلق، وينكرها العقل، وتنكرها الأعراف، كل ما فيها والعياذ بالله منكر.

وجدت فيها أكثر مما انتقد عليها الناقدون، هناك أشياء كثيرة في السطور وما بين السطور.

هل يعبر أشخاص الرواية عن فكر الكاتب؟

قالوا: إن ما ذكره الكاتب إنما ذكره علي ألسنة شخصيات الرواية! ونحن نعرف أن الرواية قصة يتخيلها الكاتب، وقد يكون لها أصل في الواقع، وقد لا يكون. هو الذي يرسم صورتها: مبدأها ونهايتها وعُقدتها وحلّها، وهو الذي ينشيء شخصياتها ويُنطق هذه الشخصيات بما يريد أن تنطق به، تعبر عما في نفسه أو تعبر عن هذه الأشخاص. وإذا كان له فكره معينة فهو يجريها علي لسان أحد الأشخاص، ويقوي هذه الفكرة، ثم يأتي الرد عليها من الطرف الآخر ضعيفاً، أو لا يأتي ردّ عليها قطّ. هذه حيلة نعرفها عند القصاصين والروّائيين.

بعضهم يقول: يا أخي، ألم يذكر الله تعالي أقوال المشركين والدهريين واليهود والنصاري وغيرهم؟ قلت له: نعم، يذكرها ولكنه يرد عليها، انظر إلي

مناظرة ابراهيم لنمرود: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾ [البقرة: ٢٥٨]. الرجل ينكر الألوهية ويدعي أنه هو الإله وهو الرب الذي يحيي ويميت، ولكن إبراهيم أفحمه، قال له: ﴿ **فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ** ﴾.

لا مانع أن تذكر آراء الآخرين، ولكن أعط للخصم من القوة ما يرد به علي صاحب الفكرة المناوئة للدين، والمناوئة للألوهية، والمناوئة للأخلاق. هذا الكتاب لم يفعل ذلك.

حرية الإبداع وحدودها:

قالوا: إن الكاتب حرّ في إبداعه، ومن حق الأديب المبدع أن يقول ما يشاء! ولكن هل هذه حقيقة؟ هذا يجرنا إلي قضية حدث فيها خلاف منذ نحو ثلث قرن في مصر: هل الأدب للأدب أم الأدب للمجتمع؟ هل الفن للفن أو الفن للحياة؟ ولا شك أن الفن للحياة، والأدب للمجتمع.

الأديب لا يكتب لنفسه، وإنما يكتب لقومه.. لأهله.. لأمته، وإلا معني هذا كان الأدب مفصولاً عما حوله، كان الأديب يعيش في صومعة لنفسه، ويكتب ضد ما يؤمن به قومه.

أهذا هو الأدب؟

ثم إن حرية الإبداع هل تعني حرية مطلقة؟ هل في الوجود حر حرية مطلقة؟ لا، إن السيارات في الطريق محكومة بقوانين المرور، والبواخر في المحيطات الهائلة محكومة بخطوط السباحة، والطائرات في الجو.. في السماء.. في الفضاء محكومة بخطوط جوية ينبغي أن تسير فيها، والكواكب والنجوم في أفلاكها محكومة بمداراتها ﴿ **كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ** ﴾ [الأنبياء: ٣٣]. لو أن باخرة خرجت عن الخط ربما اصطدمت بجبل من الثلج، لو أن طائرة خرجت عن خطها ربما اصطدمت بطائرة أخري.

كل شيء في الوجود له أصول تحكمه، والإنسان له أصوله. الحيوان حر يفعل ما يشاء، يستطيع الحمار أن يبول في الطريق وأمام الناس، ولكنك أيها الإنسان العاقل لا تستطيع أن تبول في الطريق.

الإنسان تحكمه أعراف وأخلاق وقيم وعقائد، ليس الإنسان حراً في أن يفعل ما يشاء. هل من حق الإنسان أن يقف عارياً في ميدان من الميادين ويقول: أنا حر؟ لو فعل ذلك لرجمه الناس بالحجارة حتي الأطفال وحتي الشيوخ وحتي النساء.

فإذا كان من حق الإنسان ألا يعري جسده أمام الجمهور، فهل من حقه أن يعري أدبه ويعري فنه أمام الناس؟ إن العُري الفضائحي الذي في هذه الرواية.. في أهدافها وأسلوبها وكتابتها، أشد من العُري الجسدي.

هل من حق الإنسان المبدع أن يتجرأ علي الله، وعلي رسله، وعلي كتبه، وعلي اليوم الآخر، وعلي القيم والدين والأخلاق، كما يفعل هذا الكاتب؟

أيستطيع أن يقول ذلك لرئيس دولته ويتجرأ عليه؟ أم أن الدين و(الله) والكتب والرسل أصبحت «**الحائط الواطي**» التي يتجرأ عليها كل الناس؟! وصدق الشاعر وليد الأعظمي حينما قال في إحدي قصائده:

يُساق للسجن من سب الزعيم ومن سب الإله فإن الناس أحرار!

إذا سب أحد الزعيم سيق إلي السجن، أما إذا سب الله فالناس أحرار يا أخي! تريد أن تقيد الناس في حرياتهم فلا يسبوا الله؟!

أهذه هي حرية الإبداع أن يُسف الإنسان وينقل أحطّ ألفاظ الشوارع، وأحطّ عبارات السّفلة من الناس، ينقلها بحذافيرها بألفاظها الفاضحة في كتابه الذي يُنشر علي الناس؟

نحن في خطاب بعضنا لبعض وإن كنا أصدقاء أو أهلاً نتعفف أن نذكر هذه الألفاظ القبيحة العارية فيما بيننا، فكيف يأخذ الكاتب هذه الألفاظ وينقلها في كتابه؟ أنا أستحي أن أذكر هذه الألفاظ وهذه العبارات، أستحي أن أذكرها وهي كثيرة، ألفاظ عارية فاضحة قبيحة.

الكاتب المبدع بين الإسفاف والرقي:

الكاتب المبدع الحق هو الذي تكون له مصفاة، يصفي هذه الألفاظ وينقل مضمونها إلي قارئه بما لا يجرح مشاعره، ولا يخدش الحياء العام. إن مثل هذه الروايات يقرأها المراهق، وتقرأها المراهقة، وتقرأها الفتاة العذراء، ويقرأها الناس في بيوتهم، فلابد أن نراعي الحياء العام.

هل من مهمة الأديب أن يرتقي بالسفلة من الناس إلي العلية؟ أم ينزل بالعلية إلي حضيض السفلة.. يهبط بالمجتمع إلي الدرك الأسفل حتي يتداول هذه الألفاظ القبيحة التي يذكرها الكاتب؟

أي إبداع هذا الذي يذكرونه؟

لقد رأينا كثيراً من القصاصين الكبار يذكرون النواحي الجنسية ويتحدثون عن الزناة والشذاذ واللواطيين وتجار المخدرات ومدمني المخدرات، ولكنهم لا يذكرونها بهذ الألفاظ المسفة العارية. رأينا ذلك في قصص محمود تيمور وتوفيق الحكيم ومحمد عبدالحليم عبد الله والطيب صالح ونجيب الكيلاني ويوسف السباعي وإحسان عبد القدوس، رغم أنهم ذكروا أشياء كثيرة تحدث في الفراش، ولكن لم يجرؤ أحدهم ولم يَلتْ بأحدهم أن ينزل إلي مثل هذا الدرك.

قالوا: إن في أدبنا أشياء مكشوفة مثل ما قاله امرؤ القيس ونحوه، ومثل ما ورد في خمريات أبي نواس أو في التغزل في الذكور. لكن هذه الأشياء في أدبنا لا تمثل الاتجاه العام، وليس لها أثر في مجري الحياة، لأنها كانت أشياء خاصة تتداول بين الناس في مجالسهم، أو يقرأها بعض الناس في كتبهم، وكانت الكتب محدودة الانتشار لأنها كانت تنسخ نسخاً وغالية الثمن، فكان الذين يقرأنها محدودين جدا، ومع هذا لم يخلد امرؤ القيس بقوله في معلقته:

تقول وقد مال الغبيط[1] بنا معاً عقرت بعيري يا امرأ القيس تَنْزل

---

(١) الغبيط: الرحل، وهو النساء يشد عليه الهودج، والجمع: غُبُطٌ.

لم يخلد امرؤ القيس بمثل هذا الإسفاف المكشوف، إنما خلد امرؤ القيس بقصائد أخري وأبيات أخري كقوله:

ولو أننى أسعى لأدنى معيشة كفانى ولم أطلب قليلاً من المال

ولكنّما أسعى لمجد مؤثّل وقد يدرك المجد المؤثل أمثالى

كان امرؤ القيس في شبابه رجلاً ماجناً، حتي إنه حينما أبلغ بقتل أبيه وكان في مجلس سُكْر قال كلمته الشهيرة: اليوم خمر وغداً أمر! نكمل مجلس الأنس إلي النهاية، لم يدع كأسه وشرابه حتي بعد أن عرف بمقتل أبيه.

لماذا نذكر مثل هذا، ولا نذكر ما قاله امرؤ القيس حينما قال:

بكى صاحبى لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لاحقان بقيصرا

فقلت له: لا تبكى عينك إنما نحاول ملكاً أو نموت فنعذرا؟

لماذا لا يذكر هؤلاء قول عنترة العبسي:

أغشى فتاة الحى عند حليلها وإذا غزا فى الجيش لا أغشاها

وأغض طرفى إن بدت لى جارتى حتى يوارى جارتى مأواها؟

هذا هو شعر الجاهلية.. شعر عنترة.. شعر زهير بن أبي سلمي.. شعر غيرهم من هؤلاء.

الاتكاء علي الثقافة الشاذة:

لماذا يريدون أن يتكئوا علي الجانب السلبي في التراث.. علي الأشياء الشاذة ليحاكوها، ويجعلوا منها أسوتهم؟

كل ثقافة في الدنيا فيها أشياء شاذة، ولكن هذه الأشياء الشاذة ينبغي أن لا تكون هي الإمامة للناس، هي نقطة ضعف، فينبغي أن توضع في موضعها، وتُحجم في محلها، ولا تُعطي أكثر من مساحتها.

هؤلاء الذين يدعون الإبداع، أي إبداع في التطاول علي الله تبارك وتعالي، والتطاول علي كتبه، وعلي القرآن الكريم؟ هم لا يتطاولون علي كل الكتب ولا علي

كل الرسل! ولو حصل تطاول علي التوراة أو الإنجيل أو علي المسيح عليه السلام ما جرؤت وزارة الثقافة في مصر أن تنشر هذا! إنها تراعي خواطر المسيحيين! أما المسلمون.. أما الأكثرية هؤلاء فليس لهم وزن، وليس لهم قيمة ولا اعتبار!

أي هوان بهذه الأمة: أن تُهان مقدّساتها ولا تغضب لربها؟!

هل طلاب الأزهر ظلاميون؟!

لقد عابوا علي شباب الأزهر.. علي طلابه وطالباته أن غضبوا لهذا الدين! وهل يُلام الإنسان إذا غضب لدينه؟ إذا سرت في الشارع ومعك زوجتك أو ابنتك أو أختك، ثم اجترأ عليها واحد من أولئك الفاسقين فنبذها بكلمة نابية جارحة، ألا تغار لأختك أو لابنتك أو لامرأتك؟ ألا يثور الدم في عروقك؟ ألا تقف لهذا بالمرصاد؟ هذا ما يفعله الإنسان الحر، الشريف لا يقبل أن يُهان في عرضه، وربما دخل معركة ليس معه أسلحتها، ولكنه مضطر أن يدافع عن عرضه.

أكان الدين أهون علي الإنسان من العرض؟

أكان الله تعالي وقرآنه ونبيه محمد ﷺ أهون لدي الإنسان المسلم من الغيرة علي امرأته وابنته وأخته؟

لقد كان طلبة الأزهر وطالباته معذورين حينما سمعوا ما سمعوا، وقرأوا ما قرأوا.

قالوا: إنهم لم يقرأوا هذا! وهل يجب أن يقرأ جميع طلاب الأزهر وطالباته هذه القصة حتي يغضبوا من أجلها؟

لقد رأينا في (الأهرام) كاتباً يدعون أنه تقدمي يدافع عن هذه الرواية ويقول: أنا لم أقرأها! هو لم يقرأها، إنما يدافع عن هذا الخط الذي يسمونه (الخط التنويري)! قال وزير الثقافة: إننا صار لنا بضع عشرة سنة ونحن ننشر هذه الثقافة المستنيرة لنقاوم بها ثقافة الظلاميين الرجعيين السلفيين!

أنا وأنت وأنتم أيها الإخوة ظلاميون! كل من يتمسك بكتاب الله وسنة

رسوله وبفهم القرون الأولي من هذه الأمة وهم خير القرون، كل هؤلاء ظلاميون! أنا ظلامي، وأنت ظلامي، الأزهر ظلامي، شيخ الأزهر ظلامي، مجمع البحوث في الأزهر ظلامي، رئيس جامعة الأزهر ظلامي، اللجنة الدينية في مجلس الشعب ظلامية، جريدة الشعب ظلامية، حزب العمل ظلامي، الجمعيات الإسلامية في مصر كلها ظلامية، خطباء المساجد علي المنابر ظلاميون!!

من هم إذن أهل النور إذا كان هؤلاء جميعاً ظلاميين؟

وزير الثقافة وحده هو الذي يحمل النور.. الثقافة المستنيرة!

والثقافة المستنيرة هنا أيها الإخوة، هي الثقافة التي تسخر بالدين، وتستهين بالقيم الدينية، تسخر من الله، ومن رسل الله، ومن كتب الله. وظهرت في ذلك كتب وقصص وروايات سكت الناس عليها دهراً من الزمن، ثم كان لابد أن يحدث الانفجار، إذا اشتد الضغط وتوالي الضغط لابد أن يولد الانفجار، ومن استغضب فلم يغضب فهو حمار.

استغضب الناس فغضبوا لدينهم، وأنا لا أري في تظاهر الطلاب شيئاً منكراً إذا كان تظاهراً سلمياً. يجب أن نعود أمتنا ما تعودته أمم الحضارة من التظاهر السلمي[1].

كنا طلاباً في المعاهد الدينية الابتدائية والثانوية وفي كليات الأزهر، وكنا نخرج نحتج علي كل أمر يخالف الدين، أو كل أمر يهتم به المسلمون، وكل قضايا المسلمين. خرجنا من أجل كشمير.. من أجل تونس والجزائر ومراكش وسوريا ولبنان وفلسطين. الطلاب هم نبض الأمة، لا يستطيعون أن يعيشوا بعيداً عنها.

كل ما نمنعه هو: التخريب.. أن يتحول التظاهر إلي تخريب. أما التظاهر السلمي فلا مانع منه.

لقد رأينا الناس في (سياتل) بالولايات المتحدة أهل الشارع يخرجون

---

(١) لفضيلة شيخنا فتوى عن المظاهرات السلمية ومشروعيتها، وهى ضمن الجزء الرابع من (فتاوى معاصرة) تحت الطبع.

ليحتجوا علي تلك المنظمة الدولية التي تبيح كل شيء، وتذيب الفوارق والجمارك بين الناس، وتضغط علي الدول الضعيفة لمصلحة الدول القوية.. إلخ. خرج الناس في (سياتل) واستطاعوا أن يعطلوا اجتماع ذلك المؤتمر العالمي، ولم يقل أحد إن هؤلاء غوغاء.. دهماء.. مأجورون.. يحركهم غيرهم. كذلك فعلوا في (واشنطن) وفي (باريس) وفي غيرها.

إن من حق الناس أن تغضب لدينها، خصوصاً الطلبة في الجامعات، هم أوعي الناس بهذه القضايا، وهم الذين يحملون الروح الثورية، هم الذين يتأججون من داخلهم، فمن حقهم أن يقولوا: لا، دون أن يدخلوا في تخريب أو يُستغلوا من الآخرين.

إنفاق مال الدولة علي السَّفَه:

ماذا أستطيع أن أقول – أيها الإخوة – أمام هذا الحدث؟ قد كان يمكننا أن نتغاضي عنه لو أن هذه الرواية نشرت باسم صاحبها، أو علي نفقته، أو حتي علي دار نشر خاصة، أما أن تنشر هذه الرواية مؤسسة من مؤسسات الدولة.. وزارة من وزارات الدولة تطبعها طبعة شعبية وتدعمها بأموالها، ستمائة وتسعون صفحة تُباع بأربعة جنيهات! لتعممها علي الناس جميعا ليقرأوها بثمن رخيص من أموال دافعي الضرائب. الشعب يدفع الضرائب، وهؤلاء يأخذون أموال الضرائب لينفقوها فيما يدمر عقائد الشعب، وقيم الشعب، وأخلاق الشعب، وتقاليد الشعب.

كان يمكننا أن نسكت لو أن هؤلاء نشروا هذه الرواية علي نفقتهم، ويحكم في ذلك القارىء.

وأنا من سياستي ألا أتحدث عن هذه الأشياء لئلا أشهرها. كنت أتمني أن لم يقف المسلمون من رواية سلمان رشدي هذا الموقف الذي نشرها في الآفاق وشهرها في العالمين، وطُبعت منها الملايين، ولكن هكذا يُقدر علينا.

لا يجوز لوزارة تحترم نفسها وتعمل من أجل الشعب: أن تنشر أشياء ضد قيم الشعب وعقائد الشعب ومقدسات الشعب، هذا لا يجوز بحال من الأحوال.

ومن هنا كانت غضبة كل المثقفين المسلمين؛ إلا طائفة للأسف إما إنها جهلت دينها وتراثها، وإما إنها باعت نفسها لما تنتفع به من وراء هذه الوزارة. وأنا أعجب كل العجب لبعض اللجان التي تشكلها الوزارة تدافع عن مثل هذه الرواية الساقطة في مضمونها الساقطة في أساليبها.

من أول هذه الرواية: الشرب والنساء والخمرة، وآخرها كذلك، حتي حينما تزوج الرجل العراقي بفتاته الجزائرية احتفلوا بشرب (الكونياك).

هذه هي السمة العامة في هذه الرواية، ليس فيها خشية لله، ولا توقير له، ولا اعتبار لحسابه، ولا ليوم الجزاء، ولا للجنة والنار، بل هي تسخر من هذا كله. سخرت من هذا في أماكن شتي وفي مواضع كثيرة، من ذلك:

ما جاء أن الرجل كان يقول لتلك المرأة العاهرة التي كان يصف جسدها وصفا مكشوفاً: إن الذي يقف بيني وبينك هو أنفك هذا. قالت: له: وماذا أفعل في أنفي؟ هذا خلْقَةُ ربي. قال لها: ربك إذن فنان فاشل! يعني لا يحسن التصوير. الله تعالي يقول: ﴿ **وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ** ﴾ [غافر: ٦٤- التغابن: ٣]، ﴿ **خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ** ﴾ [الانفطار: ٧ - ٨]، ﴿ **لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ** ﴾ [التين: ٤]. وهذا يقول عن الله: فنان فاشل!

قالت اللجنة: إنه قال ذلك في مقام الدُعابة والمزاح! ياعجباً، هل هنا مقام دعابة ومزاح؟ الحديث عن الله جل جلاله يدخل فيه المزاح؟! الحديث عندنا يقول: «ثلاث جدّهن جد وهزلهن جد: النكاح والطلاق والعتاق»[1]، فكيف بالله عز وجل؟ الله تعالي يقول في قوم من أمثال هؤلاء: ﴿ **وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ**

---

(١) رواه ابن ماجه في الطلاق (٢٠٧١) عن أبي هريرة والترمذي في الطلاق (١١٨٤) وقال: حديث حسن غريب، وقال ابن حجر في تلخيص الحبير: هو رواية عبد الرحمن بن حبيب ابن أدرك، وهو مختلف فيه، قال النسائي: منكر الحديث، ووثقه غيره، فهو على هذا حسن. (٤/ ١٢٥٠)، وحسنه الألباني في إرواء الغليل (١٨٢٩)، ولشيخنا القرضاوي كلام طويل على هذا الحديث في كتاب (تيسير الفقه للمسلم المعاصر) ص٥٣ .

إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ * لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ [التوبة: ٦٥ – ٦٦] قد كفرتم بهذا الاستهزاء بعد إيمانكم. ليس هناك دُعابة ومزاح في شأن الله عز وجل.

بل يقول هذا الإنسان في بعض مقاطع روايته: هؤلاء الناس يعيدوننا إلي الوراء مليون عام، هؤلاء الناس الذين يحكموننا بآلهة البدو وتعاليم القرآن في عصر الذرة والفضاء والعقل المتفجر هؤلاء (خرَاء)! مضطر أن أقول هذه الكلمة السخيفة. وكلمة (آلهة) تتردد كثيراً في كلام هذا الكاتب، إنه لا يؤمن بإله واحد، هناك آلهة، ويقول هنا: آلهة البدو، أي أن الله خالق السموات والأرض هو إله من آلهة البدو ورثناه نحن عن بدو العرب، وجاء به محمد من بدو العرب!.

وأحب أن أذكر أيها الإخوة أن الأمر قد فصل فيه مجمع البحوث الإسلامية. مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر فصل في هذا الأمر وأصدر قراره، وهو الجهة العليا المتخصصة في هذا الأمر بحكم قانون تأسيسه، وبحكم فتوي مجلس الدولة التي صدرت سنة ١٩٩٤م، وجعلت من شأن الأزهر النظر في المؤلفات والمصنفات وإعطاء حق الترخيص أو رفض الترخيص لها، لأن كل ما يتعلق بالشأن الإسلامي هو من اختصاص الأزهر.

بيان الأزهر حول الرواية:

هذا الأزهر أصدر أول أمس بيانه الذي أعلنه شيخ الأزهر الشيخ محمد سيد طنطاوي بوصفه رئيساً لمجمع البحوث، وقال بعد الديباجة: إنه كلف اثنين من أعضائه المتخصصين بكتابة تقريرين منفصلين عن هذه الرواية، وعُرض هذان التقريران علي المجمع في جلسة استثنائية ثم قرر إصدار هذا البيان:

أولاً: إن وزارة الثقافة التي نشرت هذه الرواية لم تستطلع رأي الأزهر الشريف أو مجمع البحوث الإسلامية؛ مع ماورد فيها من أمور كثيرة تتصل بالإسلام والعقيدة والشريعة. يعني: الأزهر لا يطلب أن تعرض عليه كل رواية

ولا كل قصة، إنما قصة فيها الحديث عن الدين والألوهية والكتب واليوم الآخر والأخلاق في مواضع شتي أظن أن وزارة مسئولة لا يخفي عليها أن مثل هذا ينبغي أن يُستشار فيه الأزهر ويؤخذ رأيه.

ثانياً: إن الرواية مليئة بالألفاظ والعبارات التي تحقر وتهين جميع المقدسات الدينية؛ بما في ذلك ذات الله سبحانه وتعالي والرسول ﷺ والقرآن الكريم واليوم الآخر والقيم الدينية، ومن ذلك أنها تستهزيء بذات الله مثل وصفه بأنه فنان فاشل (ص٢١٩ ط. المصرية)، وأنه نسي بعض مخلوقاته في الأهوار وغيرها من تراكم مشاغله، التي لا تُعد في بلاد العرب وغيرها (ص٢٥٧)، وأنه أقام مملكته الوهمية في فراغ السموات ليدخل في خلود ذاته بذاته (ص٤٢٦). كما يفتري علي الرسول ﷺ بأنه تزوج أكثر من عشرين امرأة ما بين شرعية وخليلة ومتعة، وأنه كان يتزوج من عذاري القبائل بُغية توحيدها (ص٤٣٦ – ٤٣٧). وأنه حرف في آيات القرآن الكريم ونسب إليه ما ليس منه كقوله: والله تعالي قال في كتابه: إذا بُليتم بالمعاصي فاستتروا.

كما أن الرواية تحرض صراحة علي الخروج عن الشريعة الإسلامية، وعدم التمسك بأحكامها، وذلك بالدعوة إلي ضرورة الانفصال عن الدين والله والأخلاق والتقاليد والأزمنة الموحلة والجنة والجحيم الخرافيين وطاعة أولي الأمر والوالدين والزواج المبارك بالشرع – يجب الخروج علي هذا كله – وسائر الأكاذيب والطقوس التي رسمتها ظهور الكذب (هذه عبارة الكاتب ص٣٤٨).

ثالثاً: إن الرواية خرجت عن الآداب العامة خروجاً فاضحاً، وذلك بالدعوة إلي الجنس غير المشروع، واستعمال الألفاظ في الوقاع وأعضائه الجنسية للذكر والأنثي بلا حياء، مما يعف اللسان عن ذكرها وكتابة نصها حفظاً علي الحياء العام الذي انتهكته الرواية.

رابعاً: إن الرواية لم تكتف بذلك، بل حرضت صراحة علي إهانة جميع الحكام العرب موصوفين بأقبح وأقذع الأوصاف، مما يعف المقام عن ذكره.

خامساً: اتضح لمجمع البحوث الإسلامية من كل ما سبق أن ما ورد برواية (وليمة لأعشاب البحر) لمؤلفها (حيدر حيدر) خروج عما هو معلوم من الدين بالضرورة، وانتهاك للمقدسات الدينية والشرائع السماوية والآداب العامة والقيم القومية، ونشر الفتن، وزعزعة تماسك وحدة الأمة التي هي الركيزة الأساسية لبناء الدولة.

ويقع علي عاتق من نشروا هذه الرواية دون استطلاع رأي أهل الاختصاص المسئولية الكاملة عن هذا التجاوز والآثار المترتبة عليه دينيا واجتماعيا وذلك علي النحو الموضح تفصيلا بالتقريرين المقدمين من عضوي مجمع البحوث الإسلامية المشار إليهما.

والله ولي التوفيق

شيخ الأزهر

إني من هنا أحي الأزهر، وأحي شيخ الأزهر علي رغم اختلافي معه في قضية الربا وغيرها، وأحي جامعة الأزهر ورئيس جامعة الأزهر، وأحي طلاب الأزهر وطالبات الأزهر، وأحي جريدة الشعب، وأحي الكاتب الإسلامي محمد عباس الذي صرخ في الأمة يقول: لا إله إلا الله.. لا إله إلا الله.. من يبايعني علي الموت؟ غضب الرجل لدينه، ما غضب لدنيا، وما غضب لمصلحة شخصية، إنما غضب لربه، وربما في غمرة هذا الغضب خرجت منه بعض ألفاظ عن بعض الناس، ولكن الإنسان في حالة غضبه يقول ما قد لا يحُمد في بعض الحالات.

أحي هؤلاء الذين وقفوا ضد هذا الكذب، أحي الشاعر الكبير فاروق جويدة لما كتبه في جريدة الأهرام، أحي المثقفين الشرفاء الذين وقفوا ضد هذا الباطل وضد هذا الفجور الأدبي، أحي كل الذين يحترمون عقائد الأمة ومقدساتها.

أحي كل هؤلاء الناس، وأقف معهم بكل قوتي، أشد أزرهم، وأسند ظهوهم، وأقول الحق لا أخاف في الله لومة لائم.

نداء لرئيس مصر (مبارك):

وننادي من هنا الرجل المسئول الأول في مصر، وهو الذي يستطيع أن يضع حداً لهذا الأمر: الرئيس حسني مبارك، أناديه أن يوقف هذه الموجة الثقافية الفاجرة عند حدها، وأن يعيد الثقافة إلي حقيقتها.

لا يجوز أن تنقسم الأمة قسمين: قسم مع الثقافة الغربية أو المستغربة، الصادة عن سبيل الله، والسائرة في ركاب الشيطان. وقسم مع القيم الدينية، مع الله، ومع رسله، ومع كتابه، ومع الربانيين.

لا يجوز أن نقسم الأمة هذه القسمة، وإنما ينبغي أن تسير الأمة وخصوصا في هذا الوقت الذي نعيش فيه في هذا الزمان التعيس الزمان الذي استعلت فيه إسرائيل وبغت فيه وطغت ينبغي في هذا الوقت أن نضم صفوف الأمة بعضها إلي بعض لتقف كالبنيان المرصوص يشد بعضها بعضا.

الكلمة لقائد المسيرة في مصر: الرئيس حسني مبارك، أسأل الله أن يهديه سواء السبيل، وأن يوفقه لموقف الحق الذي لا يخاف في الله لومة لائم.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالي لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجيب لكم.

* * *

الخطبة الثانية:

حول الخلاف بين الترابي والبشير في السودان:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

لا أستطيع وإن كنت مهموماً بهذا الهم الثقافي الذي شغلنا طوال هذه المدة، وبهذا الأمر الذي لا يُعتبر في الحقيقة من الثقافة وإنما هو من السخافة، ولا يعتبر من الأدب بل هو من قلة الأدب، لا أستطيع وأنا مشغول بهذا الأمر أن أنسي هموماً أخري من هموم هذه الأمة.

وأول هذه الهموم التي أرقتني في ليلي، ونغصت علي نهاري، هو: هم إخوتنا في السودان. هؤلاء الإخوة الذين احتضنوا المشروع الإسلامي في السودان، وأقاموا تجربة فذة، يعلمون فيها الناس أن يأكلوا مما يزرعون، وأن يلبسوا مما يصنعون، وأن يستهلكوا مما ينتجون، ووسعوا آفاق التعاليم الإسلامية لتربي الشخصية المسلمة علي أساس من الإسلام، وأنشأوا جيش الدفاع الشعبي من الشباب المتطوع ليقف أمام الدبابات بروحه.. بنفسه، قالوا: إذا كان هؤلاء الذين تؤيدهم أمريكا والدول الغربية معهم دبابات فإن عندنا (دبابين). وقف الشباب الذين سموا أنفسهم (الدبابين) بأرواحهم.. بأكفهم.. برؤوسهم أمام الدبابات، وقف (الدبابون) أمام الدبابات.

هذه الثورة الإسلامية تتعرض الآن لمحنة أي محنة، ولفتنة أي فتنة، فتنة الاختلاف والتفرق وفساد ذات البين، وهذه مصيبة أيها الإخوة: أن الذين وقفوا صفاً واحداً بالأمس يختلفون اليوم ويتفرقون شذر مذر، هذه مصيبتنا.

فعلنا ذلك في أفغانستان، الذين حاربوا السوفيت.. حاربوا الطيارات من الجو والدبابات في البر.. حاربوا أكثر من مائة ألف جندي بأسلحتهم الحديثة المتطورة وانتصروا عليهم، هؤلاء لم ينتصروا علي أنفسهم، وظلوا يتقاتلون بعضهم بعضا، وإلي اليوم لم تنته المشكلة وإن كنا نري بشائر نسأل الله أن تتم إلي خير.

لماذا نحسن أن نموت في سبيل الله ولا نحسن أن نعيش معاً في سبيل الله؟ في حالة الجهاد والموت نقدم أرواحنا، فإذا ما أردنا أن نعيش معاً اختلفنا وتفرقنا! ألا يوجد عندنا معايير نحتكم إليها ونرجع إليها عندما نختلف؟ ألا نستطيع أن نقيم من الآليات ما يجعلنا يرد بعضنا علي بعض ويحاور بعضنا بعضا ثم نحكم الأغلبية؟ لماذا لم نستطع أن نفعل ما يفعله الغربيون؟ الغربيون يختلف بعضهم مع بعض، ويعارض بعضهم البعض، ولكنهم لم يفعلوا ما نفعل نحن المسلمين.

إن ما يجري في السودان الآن يتقطع له قلبي زفرات، وتذهب نفسي عليه

حسرات، وتترقرق عيني له عبرات. إن ما يجري في السودان يفتت الأكباد، ويقطع نياط الفؤاد.

إن الخلاف شر، والفرقة فتنة، والله تعالي يقول: ﴿ **وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ** ﴾ [الأنفال: ٤٦].

لقد قالوا: إن الثورات كثيرا ما تأكل أبنائها. ولكن كيف يكون الحال إذا أكلت الثورات آباءها؟ إذا أكلت الثورة آباءها ماذا بقي؟

إننا نهيب بأبناء الثورة الإسلامية في السودان أن يتقوا الله في أنفسهم، ويتقوا الله في مشروعهم، ويتقوا الله في المسلمين في العالم الذين طالما نُكبوا بما يرون من خسار المشروعات الإسلامية واحداً بعد الآخر. إنني أهيب بالإخوة في السودان أن يتقوا الله في ذلك.

وأنا ذاهب إلي السودان إن شاء الله، وبعض الإخوة قالوا لي: لا داعي لأن تذهب، لقد أعلن البشير أنه لا يقبل الوساطة، وأعلن الترابي أن أحداً لا يقبل الوساطة، فلماذا تذهب؟ ولكني أذهب استجابة لقول الله تعالي: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴾ [الحجرات: ١٠]، ﴿ **فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾ [الانفال: ١]. والنبي عليه الصلاة والسلام يقول: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا: بلي يا رسول الله. قال: إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة»[١] وفي رواية: «لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين».

---

(١) رواه أبو داود، والترمذي وقال: حديث صحيح، وابن حبان في صحيحه، عن أبي الدرداء رضي الله عنه (المنتقي من كتاب الترغيب والترهيب للقرضاوي: ٢/٧٣٨ برقم ١٦٩٥). ورواه أبو داود في الأدب (٤٩١٩) عن أبي الدرداء، والترمذي في البر والصلة (٢٥١١) وابن حبان في صحيحه (٥٠٩٢)، وقال الشيخ شعيب: إسناده صحيح على شرطهما. وانظر المنتقي للقرضاوي (١٦٩٥).

إننا نريد أن لا تحدث هذ الحالقة، وأن يصلح الله ذات بَيْنِ الإخوة هناك، وأن يهزم الشيطان الذي يريد أن يفرق جماعتهم ويشتت شملهم، والله سبحانه وتعالي يقول: ﴿ **وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، والنبي ﷺ يقول: «لا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا»(١).

عباد الله، يقول الله تبارك وتعالي: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ [الأحزاب: ٥٦]. اللهم صلّ وسلّم وبارك علي عبدك ورسولك محمد، وعلي آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلي يوم الدين.

﴿ **وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ** ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

* * *

(١) رواه البخاري في الخصومات (٢٤١٠) عن عبد الله بن مسعود.